

أضواء البيان

@ 13 @ مَدَّ يَنْ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ { إلى قوله
قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } . وقوله { الْغَمُّ
وَفَتَنَّاكَ } قال بعض أهل العلم : الفتون مصدر ، وربما جاء مصدر الثلاثي المتعدي على
فعل . وقال بعضهم : هو جمع فتنة . وقال الزمخشري في الكشاف { فُتُونًا } يجوز أن يكون
مصدراً على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور . وجمع فتن أو فتنة على ترك
الاعتداء بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حزه وبدرة أي فتناك ضرباً من الفتن . وقد جاء
في تفسير الفتون المذكور حديث معروف عند أهل العلم بحديث (الفتون) ، أخرجه النسائي
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وساقه ابن كثير في تفسيره عن النسائي بسنده . وهو حديث
طويل يقتضي : أن الفتون يشمل كل ما جرى : على موسى من المحن من فرعون في صغره وكبره ،
كالخوف عليه من الذبح وهو صغير ، ومن أجل ذلك أُلقِيَ في التابوت وقذف في اليم فألقاه
اليم بالساحل . وكخوفه وهو كبير من أن يقتله فرعون بالقيطي الذي قتله . وعلى هذا
فآليات التي ذكرت فيها تلك المحن مبينة للفتون على تفسير ابن عباس للفتون المذكور .
وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق حديث الفتون بطوله : هكذا رواه النسائي في السنن
الكبرى . وأخرجه أبو جعفر بن جرير ، وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن
هارون به ، وهو موقوف من كلام ابن عباس ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن
عباس رضي الله عنه مما أبيع نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره . والله أعلم .
وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول ذلك أيضاً . قوله تعالى : { فُتُونًا
فَلَبِثْتُ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَيَّ قَدَرٍ } . السنين التي
لبثها في مدين هي المذكورة في قوله تعالى : { قَالَ إِنِّي أَنزِلُكَ
إِلَى مَدْيَنَ فَابْنِ عَيْنٍ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَّ إِنِّي فَاجِحٌ وَإِنَّ
أَتَمَمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ } وقد قدمنا في سورة (مريم) أنه أتم العشر ،
وبينا دليل ذلك من السنة . وبه تعلم أن الأجل في قوله : { فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ
جَلَّ } أنه عشر سنين لاثمان . وقال بعض أهل العلم : لبث موسى في مدين ثمان وعشرين سنة ،
عشر منها مهر ابنة صهره ، وثمان عشرة أقامها هو اختياراً ، والله تعالى أعلم .
وأظهر الأقوال في قوله تعالى : { ثُمَّ جِئْتُ عَلَيَّ قَدَرٍ يَا مُوسَى } أي جئت على
القدر الذي قدرته وسبق في علمي أنك تجيء فيه فلم تتأخر عنه ولم تتقدم ، كما قال تعالى
: { إِنِّي كُنتُ شَدِيدًا خَلِيقَتَاهُ } وقال : { وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

